الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

ـ دعـــوة ـ

تدعو صفحة آراء وأفكار الكتاب الى مناقشة واقع التيارات العلمانية في البلاد وما يمكن أن تلعبه من دور في خلق التوازن السياسي وكيف يمكن تفعيل تواجدها في الشارع العراقي بما يساهم في خلق التنوع الفكري وصولاً الى التعددية السياسية بصيغها التنظيرية والتطبيقية.

على هامش الصراحة

فن التمثيل

■ إحسان شمران الياسري

الفسحة التي استولى عليها التلفزيون في حياتنا كبيرة لأسباب عديدة بعضها له علاقة بالكهرباء.. إذ تضطر للجلوس مع عائلتك في مكان واحد للانتفاع بالمبردة الوحيدة والتلفزيون الوحيد والمروحة الوحيدة.. أما عندما تأتي الكهرباء الوطنية، فيسهل الانتقال إلى مكان آخر في البيت لتشغيل مكيف الهواء، وتشغيل التلفزيون الآخر على القنوات التي تحبها.. خصوصا" أفلام كارتون (توم وجيري) و(الجزيرة الوثائقية) وقناة العراقية (في مواعيد الأخبار واللقاءات الساخنة)..

والحال إنك مضطر منذ الثالثة عصرا"، وحتى ينتصف الليل بالإقامة في (الهول) للاستمتاع بالكهرباء (السحب).

فبعد استيلاء المسلسلات السورية والتركية وغيرها على الفضائيات (التي تشاهدها عائلتي)، أدركتُ معنى أن يمثّل الشخص أو لا يمثّل.. فبعض الممثلين كانوا (يمثّلون) وهم يقومون بأدوارهم، فيما كان بعضهم (لا يمثّل)، بل يعيش في الدور ويجعلك تعيش معه، وأنت لا تنسى ذلك، إلا عندما يأتي (الفاصل) وتتحول الشاشة للدعاية للبيبسي كولا أو للإرهابيين أو للفنادق السياحية في بحر(مرمره).. ولقد شاهدت، بمصادفات، بعض التمثيليات العراقية، ولم أجد أحداً من الممثلين وهو (لا يمثل)، بل وجدتهم جميعا" (يمثّلون) ويعلو صراخهم وتتقطع أوداجهم وهم يتقمصون الأدوار.. وتذكرت عندها ممثلينا الرواد، خليل شوقي، يوسف العاني، وسامي عبد الحميد، وكيف كنا نعيش معهم الدور وكأننا نجلس بينهم..

وفي السياسة، قد ينقلب الأمر، فأنت تريد السياسي (يمثل)، لأن الذي (لا يمثّل)، فهو ينصب عليك ويدّعي ما ليس منه بشيء.. وصارت لدينا فراسة.. فالذي يمثّل، معذور، لأنه أمام الكاميرا والميكرفون والجمهور فيرتبك، وتظهر خفايا نفسه، فنعرفه إن كان يكذب أو يصدق، يتألم أو يبتهج، يمثّلنا أو لا يمثّلنا.. أما الذي (لا يمثّل)، ويتقن الدور إلى أقصاه، فلا نعرف عنه شيئا" ولا نستطيع التدقيق في ملامحه.. ففي الوقت الذي يتحدث عن النزاهة، ومكافحة الفساد، تقول كل المؤشرات إنه شيء آخر، وحام للفساد والفاسدين، وإذا تحدّث عن مخاطر التدخل الخارجي في شؤون البلاد، كان هو عرّاب الصفقات الرخيصة ومدمن السفر السري..

ومن أجل هذا، أستطيع القول إن قدرتنا في كشف الزيف تطورت كثيراً"، مثلما تطورت حصانتنا من التضليل أو التهويل.

ihsanshamran@yahoo.com

العلمانية.. السياق التاريخي والفكري

حسين علي الحمداني

لا يمكن لأي متابع للمسارات الفكرية في بلادنا إلا أن يتوقف كثيراً عند ملف (المدى) حول العلمانية ومستقبلها في العراق، في ضوء الكثير من المقالات والدراسات التي وجدت مساحة جيدة في الأسابيع الماضية وعكست رؤية المثقف العراقي في مرحلة ما بعد التغيير. وهذه المرحلة بالذات تتطلب الدقة والوضوح بعيداً عن الطروحات والأفكار الجاهزة والمستوردة والتي كانت سائدة في حقب ماضية ليس في العراق فقط وإنما في سائر بلداننا العربية.

وبالمقابل ظلت مفاهيم كثيرة يلفها الغموض وبعض التجني عليها بسبب التراكمات الفكرية التي سادت عقوداً طويلة في عقلية المواطن العربي بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة، وقد شخصت الكثير من المقالات التي نشرت في جريدة المدى هذه الحالة ، لكننا بالمقابل علينا أن ننظر للعلمانية في أطار مجتمعنا ، هذا المجتمع الذي هو نتاج أفكار متعددة ومتشعبة تتلاقى في نقطة وتختلف في نقاط كثيرة ، تقترب من بعضها في لحظة وتتنافر في لحظات متعددة ، ولكنها في النهاية تجد نفسها تصوغ مقاربات أشبه ما تكون بقواسم مشتركة لمجموعة أفكار ورؤى وتصورات هي بالتأكيد قادرة على بلورة فكر عراقي جديد في الألفية الثالثة بعد أن ظل البلد لعقود طويلة يعيش تجارب فكرية وأيدلوجية أثبتت عدم جدواها في إيجاد الحلول الناجعة لمشاكل البلد على الصعد كافة .

وثمة أمور علينا ألاّ نغفلها ونحن نفتح ونناقش ملفاً مهماً جدا كهذا. ومن هذه الأمور المهمة هو السياق التاريخي والفكري والاجتماعي لمفاهيم وممارسات عديدة منها بالتأكيد "العلمانية كفكر ومنهج .

وحين تسأل في عالمنا العربي عن معنى العلمانية يأتيك الجواب سريعاً إنها تعني فصل الدين عن الدولة ،وحين تسأل كيف نفصل الدين عن الدولة ؟ لا تجد الجواب المقنع والشافي وبالتالي نظل ندور في حلقة مفرغة من الأسئلة وأنصاف الأجوبة التي تتفرع منها أسئلة أكثر وأكثر مما يزيد المفهوم ضبابية تصل لانعدام الرؤ ية.

ولكن هنالك سؤال لم يطرحه أحد من قبل يتمثل بـ " من يسعى للسيطرة على الآخر الدين على الدولة أم الدولة على الدين " ؟ وهذا السؤال بحاجة إلى إجابة تامة وصريحة لأننا مجتمع إسلامي تتجذر في دواخلنا أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات شافية.

فمنذ بداية نشوء الدولة الإسلامية وفي عهد الرسول الكريم محمد (ص) كانت القيادة واضحة جداً وهي مركزية بيد الرسول (ص) سواء السلطة الدينية أم السياسية وهو أمر طبيعي لا يمكن الجدال فيه ، ولكن هل الدولة بعد وفاة الرسول محمد (ص) كانت دينية ؟ الحقائق التاريخية تؤكد عكس هذا تماما، فالدولة كانت مدنية و قائمة على مرتكزات حضارية وأسس أقرب ما تكون لمبادئ العصر الحديث من حيث المواطنة والتعايش مع الأديان الأخرى وعدم الإكراه في الدين والعقيدة الفكرية ، وهذا يؤكد حقيقة مهمة أن الدولة الإسلامية في عصرها الأول لم تكن دولة قومية تختص بقوم من دون غيرهم لأن القرآن الكريم لم يكن موجهاً لقريش والعرب بل هو رسالة للعالمين .

إلا إن هذه الدولة في العصر الأموي أخذت الطابع القومي بشكله المعروف حالياً واتجهت لتأسيس نمط جديد من الحكم هو الوراثة الذي سارت عليه الدولة الإسلامية في عصريها الأموي والعباسي رغم إن العصر العباسي لم يكن قوميا بمعناه المتداول بقدر ما كان أمميا من حيث الوزراء والقادة والولاة عكس الدولة الأموية التي لم تسمح لغير العرب المقربين من تولي المناصب على سعتها .

ولكن في كلا العصرين كانت الدولة هي من تصادر الدين وتسعى لجعله مؤسسة من مؤسسات الدولة بدليل الاستغناء عن مبدأ الشورى واستبداله بالوراثة من جهة ومن جهة ثانية محاولة إنشاء مدارس دينية مهتمها الأساسية خلق صراع فكري داخل الدين الواحد .

وهذا النهج استمرت عليه حتى الدولة العثمانية التي يعتبرها البعض استمراراً للخلافة، والكثير من المفكرين بمن فيهم القوميون لا يعتبرون حكم الدولة العثمانية للولايات العربية احتلالا بالرغم من وجود فواصل تاريخية كثيرة بين سقوط الدولة العباسية وقيام دولة بني عثمان .

بعد انهيار الدولة العثمانية ودخول المستعمرين الجدد للبلاد العربية وما تبع ذلك من بعثات علمية مهدت الطريق لتلاقح الأفكار العربية مع الأوروبية برزت ظاهرة المفكرين العرب والمسلمين الذين بدأوا ينادون بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة ، متأثرين بالغرب حيث كانت الكنيسة تمثل لاعبا رئيسا في السياسات العامة والخارجية وحتى الحروب ومنها الحروب الصليبية التي جرت بدعم الكنيسة ومباركتها .

هذا التأثر لم يكن في محله إطلاقاً ولا يمكن المقارنة بين دور الكنيسة في أوروبا التي كانت تلتهم الدولة وتتحكم بها وتسيرها وفق إرادتها ، وهذا النهج حفز الأوربيين على الثورة على الكنيسة وتحجيم دورها في إطاره الاجتماعي الديني البحت بعيداً عن السياسة وشؤون الدولة .

أما دور رجال الدين في عالمنا العربي والإسلامي فيختلف تماماً عن دور الكنيسة حيث يتمثل دورهم آنذاك في شرح العقائد والعبادات وتنظيم الحياة الاجتماعية وفض بعض النزاعات وهم بالتالي لا يتعدى تأثيرهم مناطق تواجدهم المحلية بحكم صعوبة الاتصال والتوجيه والتأثير على مناطق أبعد من مدياتهم .

ومن هنا نجد أن الكنيسة في أوروبا كانت تمسك بالدولة، فيما الدين الإسلامي كان يوجه المجتمع ويهذبه وهو دور اجتماعي وفلسفة ظلت قائمة لدى الكثير من الأحزاب الدينية التي مارست دورها الاجتماعي أكثر من دورها السياسي .

لذا علينا أن نجيب على السؤال من يصادر حق من ؟ هل الدين التهم الدولة أم الدولة مأسست الدين ؟

في واقعنا العربي نجد إن الدولة أممت المؤسسة الدينية وجعلتها جزءاً من الدولة وواجهة من واجهاتها التي تحاول من خلالها السيطرة على الحراك الشعبي عبر مجموعة من الفتاوى التي تصدر لتلبية متطلبات الدولة أو الحكومة أو الحزب الحاكم وهذه الفتاوى تخضع لحسابات السياسة أكثر من خضوعها لحسابات الفقه ، وهذا تاريخيا تجلى في مواقف عديدة في العقود الماضية أبرزها فتوى الأزهر للرئيس المصري السابق السادات حين زار القدس عام ١٩٧٨ . وغيرها من الشواهد الكثيرة في عالمنا العربي.

لهذا حين تطرح فكرة العلمانية او علمانية الدولة في العالم العربي فإنها تطرح لمجرد النقاش وليس التطبيق لأن تطبيقها يحتاج لمقومات عديدة في مقدمتها وجود أحزاب علمانية قادرة على خوض الانتخابات في بلدانها من جهة ووجود قبول شعبي لهذه الأحزاب يمنحها فرصة التغيير والتجديد ، لهذا نجد إن العالم العربي لا فرصة فيه للعلمانية بل يظل محكوماً بما هو سائد الآن بحكم عدم تبديل آليات النهوض والتجدد .

والعراق بلد مهيأ فكرياً ودستورياً وشعبياً لأن تأخذ الأحزاب العلمانية دورها في السنوات القادمة خاصة وهنالك عملية تلاقح ايجابية بين قوى سياسية أقرب للعلمانية والحداثة مع قوى إسلامية معتدلة هي الأخرى تؤمن بالحداثة وتحديث المجتمع والنظام السياسي بما يؤمن بروز تيارات وقوى سياسية ستحظى بتأييد شعبي كبير في المستقبل المنظور في ضوء معطيات كثيرة في مقدمتها فشل النظريات الفكرية الأخرى في بناء الدولة الحديثة من جهة ومن جهة ثانية بأن رجل الدين في العراق الآن لا يخضع لسلطان الدولة ولا تسيس آراؤه لصالح الدولة وإنما أخذ دوره كمصلح اجتماعي في أحيان كثيرة ويقف كما لمسنا ذلك مع البناء السليم والصحيح لكيان الدولة العراقية الحديثة من دون أن يميل لهذه الجهة أو تلك تاركاً للناس حرية اختيار من يمثلهم .

وهذه حالة صحية ربما موجودة في العراق فقط اذا ما قورنت بدور رجل الدين وهيمنته في بلدان عربية وإسلامية أخرى بسبب إن صناعة رجل الدين في اغلب دولنا العربية تتم من قبل الدولة بينما في العراق الأمر يختلف تماما ، حيث استقلالية رجل الدين مقابل استقلالية الدولة وفق سياستها ونهجها ورؤيتها.

غياب النزعة الإنسانية العقلانية بين أركون والتوحيدي

عبد الكريم يحيى الزيباري

إذا غابَ المُفَكِّر في مجتمع ما، يظهرُ الصَّنَمَ، وإذا غابتَ الأنسنة في مجتمع ما، ابتعدوا عن العقلانية، وصَار تفكيرهم أسطورياً، فيرون في الكوارث التي تحيط بهم مؤامرات من صنع آلهة الأولمب، أو بشر لديهم قدرات خارقة، وبذلك يظلون يبتعدون عن الحقيقة، وأنَّ لهم يداً في كل ما يحدث لهم، وأنَّهم بسلوكهم وتفكيرهم الأسطوري يجلبون الخراب إلى ديارهم،

وقد قال أفلاطون في محاوراته قبل أكثر من ألفي عام وقال في محاوراته (على الرغم مما كنت أشعر به منذ صباي من حب واحترام لهوميروس، غير أنَّ من الواجب ألا نحترم إنساناً أكثر مما نحترم الحقيقة) فردريك كوبلستون-تاريخ الفلسفة-المشروع القومي للترجمة-٢٠٠٢-القاهرة-ص٣٤٨. ونحنُ ما زلنا نعبدُ الطواغيت، ونقدِّسُهم، ولا نقبلُ الحقائق التي تطعنُ في نواياهم ونزاهتهم، وهنا تغيب نزعة الأنسنة ومعها العقلانية. ابتدأ محمد أركون مقدمة الطبعة العربية لكتابه (نزعة الأنسنة في الفكر العربي: جيل مسكويه والتوحيدي) والذي كان في أصْله أطروحة دكتوراه تَقَدَّم بها إلى السوربونَ عام ١٩٦٨ بعبارة أبي حيَّان التوحيدي(إنَّ الإنسانَ أشْكَلَ عليه الإنسان)وهي صياغة أركونية لمفهوم تَوحيدي ربما، توصَّل إليه بعدما حاز نظرةً عامة وشاملة لمفهومِ الإنسان عند التوحيدي، الذي اشتغلَ كثيراً على الإنسان، ولكني لم أعثر لهذه الجملة التي اقتبسها أركون بعين الصياغة ذاتها في إمتاع التوحيدي ومقابساته، كما أنَّ أركون ومترجمَه هاشم صالح، لم يشيرا إلى مصدر العبارة التوحيدية المُقْتَبَسة. وهي عبارة جدلية، فإذا كانَ الإنسانُ قد أشْكَلَتْ عليه نفسهُ هو، فكيفَ لا تُشْكِل عليه بقية الأشياءَ والمفاهيم؟ وإذا كان الإنسان، غير قادر على نفسه، غير فاهم لجوهرها وتقلباتها، فكيف سيفهَمُ بقية الأشيَاء؟

وبلغ عمر بن عبد العزيز أنَّ ابنه اشترى خاتَماً بألف درهم فكتب إليه: إنَّهُ بَلَغني أنَّكَ اشتريتَ خاتَماً بألف درهم، فَبِعْهُ وأطعم منه ألف جائع، واشتر خَاتَماً مِنَ حديد بدرهم، واكتب عليه " رَحِمَ اللهُ امرأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسه ". وفي مأثور الكلام(مَنْ عرفَ نفسهُ عرَفَ رَبَّهُ) و(لا يهلكُ من عَرَفَ نَفْسَهُ) وفي التراث الصوفي يكثر استخدام لقب " العارف بالله"، ومنذ أنْ اقتبس سقراط شعار معبد دلفي في أثينا، ظلَّ يردِّدُهُ إلى أنْ مات(اعرف نفسك).

يقول التوحيدي(وليست النفس تابعة للإنسان، لأن الإنسان بالنفس إنسان، وليست النفس نفساً بالإنسان، فإذا طربت النفس- أعني حَنَّتْ ولحظت الروح الذي لها- تحركت وخفت فارتاحت واهتزت. ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه، وربما مزقه كأنه يريد أن ينسل من إهابه الذي لصق به، أو يفلت من حصاره الذي حبس فيه، ويهرول إلى حبيبه الذي قد تجلى له وبرز إليه. إلا أن هذا المعنى على هذا التنضيد إنما هو للفلاسفة الذين لهم عناية بالنفس والإنسان وأحوالهما. وأما غيرهم فطربهم شبيهٌ بما يعتري الطير وغيرها، وانصرفت). الإمتاع والمؤانسة- الليلة الرابعة عشرة- ج١- ص١٨٨. والتوحيدي إذ يشير إلى ما يعتري الطَّيْرَ، يقصد أحلام العصافير، إحدى نتائج الأساطير، (وَلَمْ يَكُنْ مَا بَلَوْنَا مِنْ مَوَاعِدهَا/ إلاَّ التَّهَاتَه والأمنيةَ السَّقَمَا)، أيَّام الحَصار الاقتصاديَ، كان العراقيون يحلمون برئيس أمريكي جديد، يرفعُ عنهم الحصار، ويفرحون ويحتفلون بفشل السابق، ويسطرون المقالات شَمَاتةً، في مدح الرئيس الفائز، وذمِّ السابق، حتى إذا انكشفَتْ لهم الحقائق بكوا عقلانية السَّابق، ووحشيته، لمَّا رأوه من طيش ولا إنسانية اللاحق، وكما قال الشاعر(ماتَ في القرية كلبٌ/ قلنا ارتحنا من عواه/ خَلَّفَ الملعونَ جرواً/ فاقَ في النَّبْحِ أباهُ)، وهل يملك الإنسانُ نفسهُ، أمْ هي التي تملكهُ؟ يقول التوحيدي(لأن الإنسان لا يملك ما هو به وفيه، وإنما يملك ما هو له وإليه) أبو حيَّان التوحيدي- الليلة السادسة عشرة- ج١- ص١٩٧.

وإذا كان أركون يتغنَّى بالنزعة الإنسانية التي امتلأت بها الكتب في القرن الرابع الهجري، فإنَّه يَنعاها (اختفي مفهوم النزعة الإنسانية من السَّاحة تدريجياً، بعد ضمور الفكر العربي الإسلامي وتقلص آفاقه وجمود شرايينه وأوردته.. أقصدُ أنَّ الموقفَ العقلي الذي كان يدعمها أو يُغذِّيها قد اختفى هو الآخر أيضاً، فازدهار النزعة الإنسانية مرتبطٌ بازدهار النزعة العقلانية)محمد أركون- نزعة الأنسنة في الفكر العربي- ترجمة هاشم صالح- دار الساقي- ١٩٩٧- بيروت- ص١٤.

فالمجتمعات العربية والإسلامية، قد عادت إلى الفكر الأسطوري، الذي يؤمن بتعدد الآلهة، فإذا نزلت بهم مصيبة، كأزمة وقود مثلاً، التفتوا يمنة وشمالاً، وسأل أحدهم الآخر: مَنْ فَعَلَ هذا بنَا؟ ويبدأون بالتخطيط للانتقام، وما ينتقمون إلا من أنفسهم، وعدوهم يضحك من جهلهم وهو يردد قول شاعرهم المتنبي(ساداتُ كلِّ أناس مِنْ نُفُوسهم/ وَسادَةُ المُسلمينَ الأعْبُدُ القَزَمُ/ أغَايَةُ الدِّينَ أنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكم؟/ يا أمّةً ضَحكتْ من جَهلها الأمَمُ)، وبدلاً من التفكير في بناء مَصَاف جَديدة، أو إيقاف استيراد السيارات، أو توفير الكهرباء، أو غير ذلك، يقتل بعضهم بعضاً، ويتهم بعضهم بعضاً، في مزايدات وطنية رخيصة، من أجل كسب أصوات جديدة، وينتقلُ الحوار الموضوعي، إلى شخصاني، وقد قال أرسطو(العقول الكبيرة تناقش الأفكار، والعقول المتوسطة تناقش الأحداث، والعقول الصغيرة تناقش الأشخاص). فإذا تفاقمت أزمة وقود، اتهموا أحدهم، بأنَّه السبب، لذا يجب عليهم التخلص منه، والحقيقة إنَّ الذي اتهموه اليوم، كان حليفهم بالأمس القريب، ولكن بسبب إغلاق محطة تعبئة خَاصَّة، صار عدواً، وإذا توفر النفط الأبيض في الشتاء، صدقوا الشائعات وأكاذيب الإعلام بأنَّ فلان الفلاني هو الذي جلبَ لهم النفط الأبيض بعصاه السحرية، محوِّلاً الماء إلى وقود، ولا أحدَ يذكر السبب الرئيس وهو مصفى بيجي العتيق المتهرِّئ، وتوقفاته المستمرة، فإذا توقف يوماً لأسباب أمنية أو فنية، فإنَّه يستغرق شهرا ليعود إلى معدل إنتاجه، الذي تنتظره ثماني محافظات بفارغ الصبر، فضلاً عن العاصمة بغداد، ولا أحد يتحدث عن معظم المحطات الخاصة غير الحكومية التي تبيع حصصها في السوق السوداء، يقول صمويل هنتغتون(لاحظ برنارد لويس ذات يوم أنَّهُ حين يتحقق الناس من أن الأمور تسير في اتجاه خاطئ فإنَّهم يسألون أحد سؤالين: الأول: ما الخطأ الذي ارتكبناه؟ والثاني: من فَعَلَ هذا بنا؟)صمويل هنتغتون- الثقافات وقيم التقدم-ترجمة شوقي جلال- ٢٠٠٥ -المشروع القومي للترجمة-المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة-ص ٦٠. والسؤال الأول يقود إلى سؤال آخر: كيف نصحِّحُ الوضع الراهن؟ وأصحابُ السؤال الثاني هم أصحاب التفكير الأسطوري، الذين يقودهم الإعلام الزائف، حتى أنَّ نتائج انتخابات ٢٠١٠ جاءت لتؤكِّدَ أنَّ الشعب العراقي بغالبيته غارقٌ في التفكير الأسطوري، حيث فاز أربعة أشخاص بربع أصوات الشعب العراقي تقريباً، وقد كان الناس قديماً في العصور المظلمة يحبون الأبطال ويؤسطرونهم، حتى إذا ماتوا في معركة أو على الفراش، اتخذوا من أصنامهم آلهةً يَعبدونها، وهم يعتقدون جازمين أنَّ كل ما ينزل بهم من أفراح وأتراح هي من فعل هذا البطل، سواء في حياته أم بعد مماته، لكن العقلاء في الغرب ظلوا يدَعمون فكرة اللاَبطل، وأنَّ لكلِّ إنسان نقاط ضعف، حتى اهتزَّت صورة البطل، وَظلَّت تهتز حتى صار الناس في الغرب اليوم يحبون الشخصيات العادية المألوفة، ولهذا نرى رؤساءهم، يظهرون بمظاهر غريبة بالنسبة إلى رؤسائنا، يأكلون في المطاعم الشعبية، ويرتدون ثياباً عادية، ولا يتكلفون في الكلام، والأهم من كلِّ هذا: لا يكذبون، ويواجهون شعوبهم بالحقائق مهما كانت أليمة. بينما ما زال قادتنا يخبروننا بأنَّ وراء التلِّ عسلاً. يقول التوحيدي(وإنمَّا صَعُبَ هذا لأن الإنسان يريد أنْ يعرف النفس، وهو لا يعرف النفس إلا بالنفس، وهو محجوبٌ عن نفسه بنفسه)الإمتاع- الليلة الخامسة والثلاثون- ج١- ص٤٤٤. فهل الإنسان بنفسه إنسان؟ وهل لكي يعرف نفسه، عليه أنْ يخرَجَ مِن نفسه؟ (ورويَ عن أبي يزيد البسطامي أنَّهُ قال: رَأيت ربي عز وجل في المنام، فقلت. كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال). الإمام القشيري- الرسالة القشيرية- باب الولي- ص١٧٣. ويقول تعالى(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) الجاثية: ٢٣. وقوله تعالى(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)النازعات: ٤٠. فالخوف من الله، مرتبطٌ بردع النفس وزجرها، أمَّا إذا لم يفعل، أوردته نفسه المهالك، وقال أبو ذُؤيْب الهُذَلِي(والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبْتَها/ وإذا تُرَدُّ إلى قَليل تَقْنَعُ)، فَمَنْ يطعْ نفسهُ في كل الأمر، يحطُّ مَنْ قدرها، وللنفس غرائب وعجائب(رأيت النفس تكره ما لديها/ وتطلب كل ممنوع عليها)، (ندمت على ما كان مني ندامةً، ومن يتبع ما تشتهي النفس يندمُ) فإذا فعل كلَّ هذا بنفسه، لم ينفعهُ جاهٌ ولا مال، وكما جاء في قول الشاعر(وَمَا يَنْفَعُ الأصلُ مِنْ هَاشم، إذا كانت النفس من باهلة).

السيستاني وشنوده نموذجان مضيئان

حازم مبيضين

في مواجهة التطرف الأعمى والمقيت، الذي يرفع راياته بعض السفهاء المدعين أنهم رجال دين، بغض النظر عن انتمائهم إلى هذا المذهب أو ذاك، فيدلون بتصريحات تكفر من ليس على مذهبهم، ويتجرأون على تكفير بعض صحابة النبي، وذمهم بما ليس فيهم، يأتي تصريح الإمام الجليل السيد علي السيستاني، القائل بأن عامة أهل السنة والجماعة مسلمون، وأن إنكارهم إمامة الإثني عشر إماماً من آل البيت ليس مضراً بإسلامهم. وقوله إن أهل السنة والجماعة الذين ينكرون إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، يعتقدون بأن الإمامة ليست مما جاء به النبي فلا يكون إنكارهم لها مضراً بإسلامهم.

الإمام السيستاني الذي كان قد أفتى بوجوب الصلاة على جنازة المسلم المخالف في المذهب، وصحة زواج المرأة الشيعية من أتباع المذاهب الأخرى، وسريان أحكام الميراث بين الشيعة والسنة، وأفتى أن عامة أهل السنة والجماعة هم من المسلمين الذين تحقن دماؤهم، وتحترم أموالهم، وثبت لهم سائر الأحكام المختصة بالمسلمين، وعلى حرمة دم كل مسلم سنياً كان أم شيعياً، وحرمة عرضه وماله، والتبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أيّاً كان صاحبه، وكان دائم الدعوة إلى التعايش السلمي، ورص الصفوف، ونبذ الفرقة، والابتعاد عن النعرات الطائفية، وتجنب إثارة الخلافات المذهبية، والتركيز على توثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء الأمة. يستحق المرجع الشيعي السيستاني موقعه القيادي، فهو المتفهم الحقيقي للدين الإسلامي، وهو المجتهد المنفتح العقل والضمير للتعامل مع معتنقي المذاهب الأخرى من دون تعصب أو انغلاق، وهو الذي يرى في الإسلام جامعاً، ولا يرى في اختلاف المذاهب داعياً لتكفير الآخرين، أو محاولة الحط من قيمتهم، وفي الضفة الأخرى نتعرف إلى مواقف البابا شنودة زعيم الاقباط الروحي، الذي بادر للإعراب عن أسفه لما أثير مؤخراً، بشأن تصريحات سكرتير المجمع المقدس الأنبا بيشوي، بشأن بعض آيات القرآن الكريم، وبشجاعة المؤمنين الصادقين، أكد البابا شنوده أسفه أن يحدث جرح لمشاعر المسلمين جراء هذه التصريحات، وإنه مستعد لترضيتهم بأي طريقة، وأكد أن حوار الأديان يجب أن يكون مقتصراً على النقاط المشتركة، وأن يكون منصباً على المصلحة الوطنية من دون التطرق إلى الخلافات، مشيراً إلى أن إثارة مثل هذه القضايا وتصعيد الأمور يعد أمراً غير مناسب. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر كان قد رفض بعصبية واضحة، تصريحات الأنبا بيشوي، القائلة بأن بعض الآيات التي وصفها بالمسيئة إلى المسيحيين في القرآن، أضيفت بعد وفاة الرسول، وقبلها كان بيشوي قد قال إن المسيحيين هم أهل مصر وإن المسلمين ضيوف عليها. وحذر المجمع الإسلامي في بيان شديد اللهجة من "الفتن التي يمكن أن تثيرها هذه التصرفات" التي قالوا إنها تهدد أمن الوطن واستقراره، وأعربوا عن صدمتهم لما نُشر منسوباً إلى أحد كبار رجال الكنيسة الأرثوذكسية بمصر، وأكد المجمع حقيقة أن مصر دولة إسلامية، مشدداً على أن "حقوق المواطنة مشروطة باحترام الهوية الإسلامية، وحقوق المواطنة التي نص عليها الدستور، ورداً على كل هذه الفوضى غير المبررة، أكد البابا شنوده استعداده للقول إن الأقباط ضيوف على المسلمين في مصر لأنهم أغلبية، مضيفا أن "مجرد إثارة قضية الضيوف من الأساس أمر غير لائق".

نموذجان مضيئان لرجال الدين المتنورين، أين منهما مثيرو الفتن من مفتي القاعدة، والمتزمتين من شيوخ الشيعة، والقساوسة المتعصبين الحالمين إلى اليوم بالحروب الصليبية، وهما نموذجان يستحقان فعلاً التبجيل وكل الاحترام.